مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / ج وهران02/ المجلد 09 ع 02/ خاص/ 16 فيفري 2020
ISNN : 2253-0592 EISSN: 2588-199X

# الأبعاد الحضارية للتصوف عند الأمير عبد القادر

## The civilized dimensions of the collision at Amir Abdelkader

**الباحثة: بغدادي خديجة*[1]، إشراف أد/ العلاوي أحمد[2]**

[1] &[2]-مختبر التطور والثقافة والسياسة

كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، الجزائر.

تاريخ إرسال المقال: 2019/5/3 تاريخ القبول: 2019/07/14 تاريخ النشر: 16 /02/ 2020

**ملخص بالعربية:**

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، من خلال العودة إلى أفعاله وأفكاره التي تجعلنا ندرك أنه كان نموذجا رائعا للنزعة الإنسانية، جمع بين النظر والتطبيق وبين الثورة والتصوف ، وقد تجلت أفكاره الصوفية في العديد من المواقف والتي اعترف له بها العدو قبل الصديق، إذ لم يكن قائدا للمقاومة الجزائرية ومؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة فحسب، بل كان فيلسوفا ومفكرا وصوفيا وقارئا للقرآن الكريم، وقد انعكست في أفعاله وأقواله، وهي مواقف تستحق الوقوف عندها خاصة في عصرنا الحالي، فكيف تعتبر التجربة الصوفية مرآة عاكسة لأبعاد حضارية يستفاد منها في مواجهة تحديات ومتغيرات العصر الحالي؟

**كلمات مفتاحية:** التجربة الصوفية؛ البعد الحضاري؛ المدنية؛ التصوف؛ التربية.

Abstract: This study seeks to stand on the origin of the mysticism of Prince Abdul Qader, by returning to his actions and ideas that make us realize that he was a wonderful model of humanity, combining consideration and application and between revolution and mysticism, his mystical thoughts were manifested in many positions which he admitted to his The enemy before the friend, who was not only a leader of the Algerian resistance and a founder of the modern Algerian state, but a philosopher, thinker, Sufi and reader of the Holy Quran, reflected in its actions and words, which are worth standing at, especially in our current era, how the mystical experience is a mirror reflective of the dimensions Civilized and used to meet the challenges and changes of the current era?

Keywords: Sufi experience; civilizational dimension; civic; mysticism; éducation

### 1- مقدمة:

مس التغير في ظل الاجتماعي الحاصل الذي جميع مناحي الحياة خاصة الجانب الاجتماعي والديني، وظهور العديد من الصراعات الطائفية المتناحرة باسم الدين، وربط الإسلام بالإرهاب، وتنامي حركات التطرف والعنف... كل هذه العوامل أدت إلى تعطّل عجلة التنمية في البلدان العربية وتخلفها مقارنة بدول العالم الأوروبي، من هنا كان لزاما العودة إلى الدين الشعبي البسيط الذي يدعو إلى التسامح ونبذ العنف والتطرف والذي تحتضنه الزوايا والطرق الصوفية. والتصوف الإسلامي تجربة روحية تعاني ولا توصف، وهو فكر إسلامي فلسفي نشأ مع الإسلام وتطور إلى فكرة التصوف، فالإسلام والقرآن هما المنبع الأول للتصوف[1]، وهو إلى جانب ذلك ظاهرة نفسية ووجدانية وأخلاقية، مثقلة بمظاهر التقوى والإحسان، فهو أخلاق لا نصوص تنظيرية، اجتمعت

*-الباحث المرسل : baghdadi.khad3@yahoo.fr

[1]محمد عبد المنعم خفاجي، التصوف في الإسلام وأعلامه، دار الوفاء لدنيا الطباعة الإسكندرية، مصر، 2001، ص6

خيوطها في مختلف نواحي الحياة، وضعت للمجتمع كقاعدة يرقى على أساسها الفرد والمجتمع، لذا فهو فكر يؤسس للحوار والتسامح والمحبة واحترام الآخر «ولأنّ كلّ صوفي يخضع تعبيره للتجربة التي خاضها في إطار ما يسود عصره من أفكار، ولا يخضع لحضارة مجتمعه من تطور واضمحلال"[1]،وبالعودة للأمير عبد القادر نجد أنّه لم يكن رجلا عاديا، فبالإضافة إلى كونه قائدا للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، كان فيلسوفا ومفكرا وصوفيا، فهو ابن الزاوية تلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية من مدرسة الزاوية، ونما وتترعرع في جو ديني تربوي يقول نزار أباظة عنه: «فنشأ نشأة دينية ترتكز على الأخذ بأسباب العلم المشفوع بالعمل "[2].

من هنا حاولنا في هذه الورقة البحثية أن نقف على أبعاد تجربة الأمير عبد القادر الصوفية وعلى رأسها التسامح، ونبذ التعصب الديني والتطرف، والدعوة إلى حوار الأديان وتقبل الآخر .... وغيرها من الأخلاق السامية التي يمكننا استلهامها لمواجهة تحديات الراهن وتغيراته والحدّ من العنف والتطرف والإرهاب، وبناء حضارة متطورة مستقرة، وتصحيح النظرة الخاطئة التي ألصقت بالإسلام والمسلمين، وقد عبرنا على إشكالية الدراسة بالتساؤل التالي : **ماهي الأبعاد الحضارية للتجربة الصوفية لدى الأمير عبد القادر ؟ وكيف يستفاد منها في مواجهة تحديات ومتغيرات العصر الحالي؟** .

وتستمد الدراسة الحالية أهميتها من الموضوع نفسه، بحيث أصبح من الضروري جدا العودة إلى تاريخ الأمير عبد القادر وإعادة قراءته وصياغة تاريخه الإنساني في كل أبعاده الروحية، السياسية، الدينية والمقاوماتية، واستثمارها في ظل راهن صراعاتي، اختلطت فيه المفاهيم وفقدت الإنسانية معالمها، عالم تعالت فيه أصوات التطرّف والظلامية والاستبداد السياسي، أمام غياب نماذج من التاريخ شكلت أعمدة في التسامح ومنارات في التعايش ورموزا في قبول الآخر.

## 1-السيرة الذاتية للأمير عبد القادر:

هو عبد القادر، بن محي الدين، بن المصطفى، بن محمد، بن المختار، بن عبد القادر، ابن أحمد المختار، بن عبد القادر، بن أحمد، المشهور بابن خدّه، وهي مرضعته، ابن محمد، ابن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار محمد، بن مسعود، بن طاووس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد، بن محمد، بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، ابن الإمام الحسن السبط رضي الله عنهم[3]،أصل

[1] عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مديوني، القاهرة، ط2، 1999، ص25

[2] نزار أباظة، الأمير عبد القادر، العالم، المجاهد، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص5

[3]- نقلا عن: نزار أباظة، الأمير عبد القادر، العالم، المجاهد، مرع سابق، ص9

أسرته من المغرب الأقصى، وهاجرت إلى نواحي وهران، ولد يوم الجمعة 23رجب سنة1222هـ/1807م، ببلدة القيطنة، من أعمال (معسكر) بالمغرب الأوسط، نشأ في بيت علم وتقوى، وتربى في رعاية والده، وحفظ القرآن الكريم في مدرسته، وقرأ الفقه وغيره، وأخذ العلم على أهله، هذه التنشئة الدينية الصوفية كانت مطيّة نقلته إلى عالم التألق والشهرة فيما بعد، ليصبح" الإمام الأوحد، والعالم المفرد العارف بالله والتقي الأوّاه، عالم الأمراء، وأمير العلماء، الأمير الخطير، السيد عبد القادر بن محي الدين مصطفى الحسني الجزائري"[1] .

وصرح هنري تشرشل قائلا:" منذ طفولته كان للأمير عبد القادر موضعا خاصا لحبّ والده، حتى عندما كان في الرضاع، حيث كان الوالد يصر دائما على أخذ الطفل إلى حضنه، وكان لا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به، فقد كان هناك على ما يبدو سرّ غامض وعاطفة غير محددة، يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة، ومرتبطا بمستقبل بلاده، والعناية والتربية الصوفية التي تلاقاها الأمير عن والده الصوفي العارف بالله محي الدين، تعتبر مكمن سرّ نبوغه وتألقه فيما بعد"[2].

**2-التجربة الصوفية لدى الأمير عبد القادر:**

حملت التجربة الصوفية خصائص تختلف عن التجربة الفلسفية، ولكنّها تحمل رهانات فلسفية، ما يمكّننا من التطلع عليها، ومقاربتها من خلال ما يصدر عن المتصوفة[3]،والتصوف بنظرة فلسفية محضة هو مكان لتجربة أنطولوجية معلنة انطلاقا من جدلية الباطن والظاهر[4]،وبالنسبة لتصوف الأمير فقد ظهرت بوادر التصوف لديه منذ الصغر يقول: " كنُتُ مغرما بمطالعة كتب القوم- رضي الله عنهم –(يقصد الصوفية )منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض نفسي منها، مع إيماني بكلامهم على مرادهم لأني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة..."[5]،وقد توغل الأمير في أواخر عمره بالتصوف ما جعله يحظى برفعة بين قومه.

---

[1] الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، المواقف، موقف 4، تح: عبد الباقي مفتاح، مؤسسة الأمير عبد القادر، ط 1، 2005، ص6

[2] شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد مع عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص61

[3] De Courcelles, D. (dir.), Les enjeux philosophiques de la mystique Actes du colloque du Collège internationale de philosophie, Paris, éd. Jérôme Million, p. 15.

[4] Ibid., p. 17

[5] عبد الوهاب بلغراس، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف أ.د. محمد عبد اللاوي، جامعة وهران، ديسمبر 2011.ص101

وتنقسم حياته الصوفية إلى ثلاث مراحل[1]:

الأولى: هي المرحلة التي سافر فيها إلى دمشق مع والده، وتلقى الطريقة النقشبندية عن شيخها خالد النقشبندي، والطريقة القادرية ببغداد عن شيخها محمود الكيلاني القادري، ثم رجع إلى الجزائر، وأنشأ مراكز لنشر الطريقة القادرية ببعض القرى والقبائل. وتمثل هذه المرحلة مرحلة الطفولة والشباب حيث كان مولعا بالقراءة والاطلاع.

الثانية: مرحلة عزلته وخلوته في مدينة أمبواز، وتمثل هذه المرحلة مرحلة الفتوة والتعبد وهي الفترة التي كان فيها سجينا في فرنسا بعد توقف الكفاح المسلح، وهي مرحلة أظهرت قوة شخصية الأمير، حيث حوّل المحنة إلى منحة وصبر وجلد وشوق إلى الفرج، وقد اعتبره امتحان وابتلاء من الله تعالى، ولعلها منّة إلهية. وقد تحدث الأمير عبد القادر عن هذه الحالة السيكولوجية والروحية التي دخل فيها أثناء خولته تلك حيث قال في كتابه المواقف: «دخلت مرة في خلوة، فعندما دخلتها انكسرت نفسي، وضاقت عليّ الأرجاء، وفقدت قلبي، وإذا المعرفة نكرة، والأنس وحشة، والمطايبة مشاغبة، والمسامرة مذاكرة، فكان نهاري ليلا، وليلي ويحا وويلا .... وأي قرابة أردتها ابتعدت بها، فلم يبق معي من أنواع الصلات إلاّ الصلاة، فكان هذا الابتلاء"[2]. والابتلاء هنا هو تربية النفس وتهذيبها، والمعرفة الحقيقية من عند الله لا معرفة خَلقية، لأنّ هذه الأخيرة تختلف عن المعرفة الكونية، والتي هي حسب الأمير "تشكل حجابا، وعائقا أمام معرفة الحق، والسالك بقطعه هذه الأشواط والمراحل أو ما يسمى بالصعود في المراتب، ثم النزول بعدها إلى عالم الحس، ليعلم علوم الكون أي يعود إلى الواقع الحسي، ولكن هذه المرة أصبح معرفيا وروحيا، بحيث لا يرى شيئا إلا الله فيه"[3]

الثالثة: هي المرحلة التي تم له فيها النضج والترقي الصوفي، ووصل إليها في مجاراته بمكة المكرمة سنة 1279هـ، وأقبل على العبادة والخلوة، والتقى بالشيخ محمد الفاسي الذي أعطاه الطريقة الشاذلية. وتعتبر هذه المرحلة أطول مرحلة في مشواره الصوفي حيث دامت قرابة الثلاثين سنة، تعمق فيها في علوم القوم (الصوفية)، ومن جهة أخرى كانت له لقاءات ومناظرات مع مختلف الشخصيات السياسية والعلمية والعسكرية خاصة الأوروبية، مكنته من الاضطلاع على التقنيات الحديثة التي عرفتها أوربا في القرن التاسع عشر إلى جانب حضوره في أحداث تاريخية هامة كتدشين قناة السويس بمصر ....

[1] نزار أباظة، الأمير عبد القادر، العالم، المجاهد، مرجع سابق، ص29

[2] الأمير عبد القادر، المواقف، ص378.

[3] عبد الوهاب بلغراس، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص114

ووفقا للتقسم الأنطولوجي الذي قدمه الأمير عبد القادر في قراءته للوجود، يتضح أنّ الارتقاء لدى الأمير هو الدخول في المطلق النسبي والفناء فيه، وهو أمر تحقق للأمير في فترة عزلته حيث يقول :"كنت يوما في الخلوة متوجها إلى الله تعالى، فأخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي، ثم ردّني وأنا أقول: لو كان موسى ابن عمران حيّا ما وسعه إلاّ اتباعي على طريق الإنشاء لا على طريق الحكاية، فعلمت أنّ هذه المقولة من بقايا تلك الأخذة، وإنّي كنت فانيا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم أكن في ذلك الوقت فلانا، وإنّما كنت محمدا....."[1].

وقد ثبت لكل من نبش تاريخ الأمير عبد القادر أن حقيقة التصوف لديه تجمع بين الظاهر والباطن وبين العلم والعمل حيث قال:" إنّ كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص ولو كان أعبد الناس، وأروعهم، وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق، واختفاءً، وأكثرهم تدقيقا وبحثا في دسائس النفوس، وخفايا العيوب، فإذا رحمه الله بمعرفة نفسه، صحّ له الإخلاص، وتصير الجنة والأجور والدرجات وجميع المخلوقات "[2]

لذا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أنّ الحديث عن عرفانية الأمير، والمنحى الذي انتهجه، انعكس بشكل واضح في حياته الاجتماعية والفكرية والروحية، وقد كانت له نظرته في التصوف، حيث يرى أنّ التصوف إخلاص العبادة في السرّ والعلانية يقول عنه:" إنّه جهاد النفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله، وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام التربية، لا شيء آخر من سبيل الله"[3]، وبما أنّ التصوف لدى الأمير علم وعمل كما ذكرنا سابقا فهي عمل باعتبارها تحليا بجملة الأخلاق الحسنة والفضائل، وتخليا عن الرذائل والصفات المنبوذة، وقد عرُف الأمير بكثرة التهجّد والخلوات، وكثرة التصدق والصلاة، والصوم، كما عرف بالحلم والزهد والورع .وله مواقف إنسانية كثيرة، حيث كان يلعب دور الوسيط في الكثير من الأحيان، يحل مشاكل الناس وخصوماتهم، ويهب الشباب المهور ليتزوجوا، كما كان مسموع الكلمة لا يرد له طلبا، إلى جانب ذلك كان رجلا متضلعا بالعلم والأدب، ذو فكر سامي في التصوف :"لا يكتفي به نظراً حتى يمارسه عملاً، ولا يحن إليه شقًّا حتى يعرفه ذوقًا"[4]

[1] الأمير عبد القادر، المواقف، مرجع سابق، ص59

[2] الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، المواقف، مرجع سابق، ص113

[3] المرجع نفسه، ص206

[4] صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، لبنان، ط 2002، ص80

وتأسيسا على ما سبق يتضح لنا أنّ طبيعة التصوف عند الأمير عبد القادر تعكس دور التكوين الديني والفلسفي في صناعة الإنسان، ودور الربط بين العمل والعلم في تغيير الذات قبل التوجه لتغيير العالم، امتثالا لقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"[1]

**3-الأبعاد الحضارية لتجربة التصوف عند الأمير عبد القادر:**

تتخذ التجربة الصوفية عند الأمير عبد القادر طابعا فلسفيا، كونها تمزج بين الذوق والنظر العقلي، حيث تتأسس فكرة وحدة الوجود تأثرا بشيخه الأكبر ابن عربي الذي يحمل تصوفه بذور النهضة والحداثة التي نحتاجها اليوم من خلال دعوته إلى النقاط التالية:

**أ-الدعوة إلى الإنسان الكامل:**

تعود فكرة الإنسان الكامل إلى ابن عربي حيث يفرق بين الإنسان الكامل والإنسان الحيوان، فكلاهما يتحرك، غير أنّ الإنسان الكامل يتحرك وفق دافع فكري، وأصل لكل فعل، والإنسان الحيوان يتحرك دون وعي، لذا فهو يشترك مع الحيوان في عدم التمييز، ويتخذ ابن عربي من الكمال مسوغا ليكون الإنسان الكامل هو الأحق بخلافة الله على أرضه، فلا خلافة للإنسان الحيوان، ويرى ابن عربي أن الله عندما قال: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً."، كان لا بد من أن يعدّه إعدادا صحيحا، ليكون أهلا للخلافة، لذلك علّمه الأسماء كلها، فيقول ابن عربي عن إعداد الله لإنسانه الكامل: "كلّ من في العالم جاهل بالكلّ عالم بالبعض، إلّا الإنسان الكامل وحده، فإن الله علّمه الأسماء كلها، وآتاه جوامع الكلم، فكملت صورته، فجمع بين صورة الحق وصورة العالم، فكان برزخًا بين الحق والعالم، مرآة منصوبة، يرى الحق صورته في مرآة الإنسان، ويرى الخلق أيضًا صورته فيه، فمن حصل هذه المرتبة حصل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان[2]،والإنسان الكامل عند الأمير هو الذي حقق مرتبة الخلافة في الأرض وبلغ درجة الولاية التي تجعل الصوفي يتلقى العلم اللدني بعد اتحاده بالخلق، وقد عبّر عنه الأمير من خلال اقتفائه لطريق الشيخ الأكبر، كما دعا إلى احترام الإنسان أينما كان ومهما اختلفت عقيدته، وديانته وانتماؤه وهويته، فهو ينبذ التطرف، ويدعو إلى التسامح، ويؤكد هذا إدريس الجزائري :"كان الأمير منشدا لفهم حقيقة الإسلام كدين ينبذ التطرف الملحق به بهتانا وزورا، ذلك لأنه لم يستنبط من الإسلام الحقيقي التشدد، ولا نموذج العنف الذي يراد إلصاقه بالمسلمين كوسيلة شعبوية

[1] سورة الرعد، الآية :11.

[2] https://elbadil.net/

للتخفيف في الدول المتقدمة، إنّما استلهم من مبدأ الإسلام الحقيقي المحبة والأخوة والإنسانية ليشق الطريق لتأسيس قانون دولي إنساني جامع وفعال "[1]

**ب-الدعوة إلى الانفتاح على الأديان وحوارها:**

لا يختلف إثنان على أنّ الأمير عبد القادر رجل سلام، يده كانت ممدودة لمساحة الخصوم قبل اللجوء إلى السيف، كما كان أيضا سباقا للدعوة إلى التحلي بقيم الإنسانية في زمن الحرب، كما أنّه حسب ما أورد إدريس الجزائري :"" لقد وفر المأوى والضيافة للآلاف من المسيحيين تطبيقا لتعاليم الإسلام دين التسامح "[2]،فقد كان رحمه الله منفتحا على باقي الديانات وغير متعصب لدينه، وتجلى ذلك من خلال قبوله الدخول إلى الكنائس واحترامه للديانة المسيحية، ويورد هنري تشرشل في كتابه (حياة الأمير عبد القادر )أنّ الأمير عبد القادر كان له دور في التفتح على الديانات بالإشارة إلى قيامه بزيارة للكنائس، وتعرفه على المسيحية والمسيحين، حيث يقول: «عندما دخل كنيسة المادلين قال للقسيس الذي كان مرافقا له : حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنّهم شعب لادين له ....وعندما كان يزور الكنيسة نوتردام توقف ليتفحص عجائب الفن والأثر التي تحتوي عليها باهتمام

أثار دهشة الحاضرين لأنه صادر عن مسلم، فتماثيلها وصورها الملونة والعباءة التي كان قد توشّح بها نابليون الأول عند تتويجه، وقطعة الصليب الحقيقي الذي أهداه بالدوين Baldwinإلى لويس الثاني عشر، كلّها على التوالي جذبت اهتمامه "[3]، ضف إلى ذلك الأحداث والمجاز الطائفية سنة 1860 والتي راح ضحيتها آلاف المسيحيين، حيث تدخل لحماية القناصل الأجانب وأعضاء الإرساليات الأجنبية، ورجال دين ورهبان، وأواهم في منزله قبل أن يتدخل بالجيش، كما أنه وضع مكافأة مالية لكل من يأتيه بمسيحي لحمايته .وهنا ردّ عليه مكافئيه من الأوروبيين :"إنّني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الدين ولوازم الإنسانية "[4]، وقال أيضا :" إنّه سلوك إسلامي، إسلام من هو أعظم هدى وحقوق الإنسانية "[5]، وقد تركت هذه الحادثة أثرا كبيرا في نفوس السوريين وحتى لدى أعدائه، خاصة بعد الخطاب الذي ألقاه الأمير بعد تلك الحادثة على علماء ووجهاء دمشق، حيث قال :"إن

[1] مداخلات وابداعات الأسبوع الثقافي لولاية معسكر بالجزائر، منشورات دار الأديب، حي باهي اعمر السانيا وهران، المداخلة من اعداد: الممثل الدائم للجزائر لدى الأمم المتحدة –ادريس الجزائري-بعنوان: الأمير عبد القادر الجزائري –نشرت في الدوحة قطر يوم14فبراير عن جريدة صوت الاحرار الاحد 18 فبراير 2007، ص13

[2] جريدة الصوت الآخر، فكر الأمير عبد القادر إرث يجب الحفاظ عليه، السبت17 فبراير 2017 -12:07 مساء، http://www.assawt.net

[3] شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، 342 وما بعدها

[4] الأمير عبد القادر، المواقف، مرجع سابق، ص16.

[5] عبد الوهاب بلغراس، الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص115

الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجلّ وأقدس من أن تكون خنجرا جهالة، أو معول طيش، أو صرخات تدوّي بها أفواه الحثالة من القوم، أحذّركم من أن تجلعوا لشيطان الجهل نصيبا، أو يكون له على نفوسكم سبيلا"[1] كلّ هذا يعكس العقلية المنفتحة لدى الأمير، وخصال التسامح والحوار ونبذ التعصب والتطرف والعنف التي تشربها من الإسلام، وهي صور نحتاجها اليوم في ظل تعدد الديانات والطوائف المتناحرة، حتى لا تغرق الإنسانية في بحار الدم والعنف والعداوة والحروب.

**ج-إرساء الأمير عبد القادر مواثيق مؤسسة للمدنية والحضارة:**

أسس الأمير عبد القادر دولة جزائرية حديثة، وكان مثالا يحتذى به في تكريس ثقافة السلم والمصالحة داخل وخارج الجزائر، حيث ثبت لكل مضطلع على التاريخ أنّه كان دائم الالتزام بالمواثيق والمعاهدات التي كان يبرمها مع المستعمر، ولم يبادر قطّ إلى خرق للهدنة أو الاعتداء على الأسرى. كما كرس ثقافة العفو والصفح من خلال إطلاقه العديد من الأسرى والعفو عنهم خلال مقاومته للاستعمار الفرنسي فضلا عن كونه شخصية رائدة في الدفاع عن حقوق الانسان من خلال إرسائه لمواثيق تضمن هذا الحق وتكفله، ومن بين بنودها: "القانون الذي رسمه لجيشه وأنصاره من الشرفاء والأجواد والذي نذكر منه ما يلي:

1-أي فرنسي يتم أسره في المعارك يجب أن يعتبر أسير حرب، وأن يعامل كذلك، إلى أن تتاح فرصة تبادله مقابل أسير جزائري.

2-تحريم قتل الأسير والمجرد من السلاح.

3-معاملة الأسير معاملة حسنة، وفي حالة شكوى الأسير تسقط المكافأة عن آسره ويتعرض لعقوبات.

4-كل من يقدم أسيرا فرنسيا يحصل على مكافأة قدرها(8دورو)

5-مداواة الأسرى وإطعامهم من طعام الجيش"[2].

من هنا يتضح لنا أنّ الأمير كانت شخصيته تجمع بين الخصال الدينية والدبلوماسية والثقافية، وكان حريصا على إحلال السلم والتصالح مع الآخر وسبّاقا إلى المحافظة على حقوق الإنسان، وهي خصال علينا أن نقتدي بها، ونعمل بها لبناء مواطنين صالحين بنائين.

**د-تأكيد الأمير عبد القادر على ضرورة التسلح بالأخلاق والعلم:**

لا يخفى على أي قارئ لسيرة وأعمال الأمير عبد القادر أنّه أعطى أهمية وقيمة للعلم، وأشاد بدوره في تسيير شؤون البلاد، وبناءه، واستقراره وازدهاره، وقد ذكر ذلك في مذكراته:" أربعة يرقى بها أربعة: العقل في الرياسة، والرأي في السياسة، والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوقير "[3]

كما كان يعُلي من قيمة الأخلاق، وتهذيب النفوس ودورهما في ترقية الأمم، وهو أمر ليس بالغريب عن الأمير، خاصة إذا عدنا إلى نزعته الصوفية، حيث أكّد على ضرورة التخلي عن الرذائل، وتطهير النفس من

[1] محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق: ممدوح حقي، الجزء الأول والثاني، ط 2، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، بيروت، 1964، ص 293

[2] بوعرفة عبد القادر وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، دار القدس العربي، ط 1، 2010، ص144.

[3] الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، المواقف، مرجع سابق، ص298.

الخبائث، والتحلي بالفضائل والأخلاق الحسنة مستلهما مبادئه مما أخذه من مشايخه في الزاوية القادرية، ومن الزاوية الشاذلية، فهو صوفي نهل من أكثر من طريقة صوفية، وتلميذ ابن عربي، فالأمير طبق أفكاره الصوفية في الجزائر عن طريق مقاومته للاستعمار، وبناء الدولة الحديثة وما أحوجنا اليوم إلى استثمار هذه الأفكار، وهذه المواقف، في عصر كثرت فيه الفتن والحروب والصراعات الطائفية، وسيطرت المادة والتقانة على الإنسان، حتى تمّ تغييب الجانب الروحي والإنساني، وهو أمر أدى إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية وبالإنسان ذاته، لذا تصبح الحاجة ماسة جدا إلى المنهج التربوي للأمير عبد القادر، ذلك لأنّ " استثمار الأمير عبد القادر في البرامج التربوية كفيل بميلاد جيل شبيه بالأمير عبد القادر، في سلوكه وفكره، وحبه للوطن، واعترافه بالآخر، لقد غيُّبَ الأمير كتراث فكري وإنساني، وحضر كأيديولوجية فقط ...الأمير ليس مسيرة جهاد فحسب، بل مسيرة إنسان عرف أنّ الله لم يصطف لنفسه جنسا ولا عرقا ؛بل جعل الناس كلهم كعملة واحدة"[1].

من هنا يصبح من الضروري جدا العودة إلى المنهج التربوي للأمير عبد القادر، واستثمار أفكاره الفلسفية والصوفية، من أجل صناعة نماذج بشرية صالحة، وفعالة وبناءة لا مخربة، خاصة في هذا العصر الذي سيطرت عليه التكنولوجيا والتقنيات المتطورة، وتراجع الكثير من القيم في ظل الغزو الإعلامي والإلكتروني، وانتشار مظاهر التعصب والتطرف والصراعات التي تذكيها الأيديولوجيات والمصالح.

**خاتمة:**

وجملة القول إذن، أنّ الأمير عبد القادر كصوفي متميز على المستوى النظري والعلمي: حيث تبين لنا من خلال ما سبق عرضه، أنه لم ينعزل عن الحياة الاجتماعية، ويتفرغ للعبادة فقط ؛بل كان فاعلا في جميع المناحي، اجتماعيا، وسياسيا، ودينيا، من خلال اهتمامه بالحياة العامة، وحياة المسلمين، وغير المسلمين، وداخل الجزائر وخارجها، فإلى جانب كونه صوفيا؛ كان مقاوما ومحررا، وحاملا لرسالة الإسلام، والمتمثلة في التسامح والعدالة، ولأن الإنسانية تمر اليوم بظروف يطبعها التوتر واللاتسامح بين الديانات، وتغرق في دوامة من العنف والحروب، والعدوات والتطرف، فهي اليوم في أمس الحاجة لقيم التسامح، والإنسانية، ولعل الأمير عبد القادر أفضل نموذج لإرساء قواعد السلام، والأخوة، والاقتداء بالقيم المتضمنة في كتابه (لمواقف)، فقد قدم هذا النموذج البشري صورة إيجابية عن الدين الإسلامي والمنهج الصوفي، والأهم من ذلك حفاظه على هويته الإسلامية الصوفية، رغم منفاه، واحتكاكه بالعديد من الثقافات، والمسيحيون لازالوا إلى يومنا هذا، يحسبون له موقفه الفريد تجاههم خاصة في الدفاع عن المساجين، وهو تصرف نابع من رجل دولة مسلم متصوف.

[1]- بوعرفة عبد القادر وآخرون، تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص146.

## مصادرومراجع البحث:


- القرآن الكريم، رواية ورش
- الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، **المواقف**، موقف 4، تح: عبد الباقي مفتاح، مؤسسة الأمير عبد القادر، ط 1، 2005
- بوعرفة عبد القادر وآخرون، **تير الخواطر في فكر الأمير عبد القادر**، دار القدس العربي، ط 1، 2010
- شارلز هدري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد مع عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة، 2009
- صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البراق، لبنان، ط 2002
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، مكتبة مديوني، القاهرة، ط2، 1999
- محمد بن الأمير عبد القادر، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تحقيق: ممدوح حقي، الجزء الأول والثاني، ط 2، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، بيروت، 1964
- محمد عبد المنعم خفاجي، **التصوف في الإسلام وأعلامه**، دار الوفاء لدنيا الطباعة الإسكندرية، مصر، 2001
- نزار أباظة، **الأمير عبد القادر، العالم، المجاهد**، طبعة دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994
- De Courcelles, D. (dir.), **Les enjeux philosophiques de la mystique Actes du colloque du Collège internationale de philosophie**, Paris, éd. Jérôme Million

**المجلات :**

- مداخلات وابداعات الأسبوع الثقافي لولاية معسكر بالجزائر، منشورات دار الأديب، حي باهي اعمر السانيا وهران، المداخلة من إعداد: الممثل الدائم للجزائر لدى الأمم المتحدة –ادريس الجزائري-بعنوان: **الأمير عبد القادر الجزائري** –نشرت في الدوحة قطر يوم14فبراير عن جريدة صوت الاحرار الاحد 18 فبراير 2007.

**الرسائل الجامعية :**

- عبد الوهاب بلغراس، **الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر**، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف أ.د. محمد عبد اللاوي، جامعة وهران، ديسمبر 2011

**المواقع الإلكترونية:**

http://www.assawt.net جريدة الصوت الآخر، **فكر الأمير عبد القادر إرث يجب الحفاظ عليه**، السبت17 فبراير 2017 -12:07 مساء،